

تفسير البحر المحيط

@ 50 (قلت) : لما كان قوله : ولو أرادوا الخروج معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو . قيل : ولكن كره الله انبعاثهم ، كأنه قيل : ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكرهه انبعاثهم ، كما تقول : ما أحسن إليّ زيد ولكن أساء إليّ انتهى . وليست الآية نظير هذا المثال ، لأنّ المثال واقع فيه لكن بين ضدين ، والآية واقع فيها لكن بين متفقين من جهة المعنى ، والانبعاث الانطلاق والنهوض . قال ابن عباس : فثبطهم كسلهم وفتر نياتهم . وبنى وقيل للمفعول ، فاحتمل أن يكون القول : أذن الرسول لهم في القعود ، أو قول بعضهم لبعض إما لفظاً وإما معنى ، أو حكاية عن قول الله في سابق قضائه . وقال الزمخشري : جعل القاء الله تعالى في قلوبهم كراهة الخروج أمراً بالقعود . وقيل : هو من قول الشيطان بالوسوسة . قال : (فإن قلت) : كيف جاز أن يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة ، وتعالى الله عن إلهام القبيح . (قلت) : خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى : { لَوْ خَرَجُوا فَيَكُومُوا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَرًا } فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة انتهى . وهذا السؤال والجواب على طريقة الاعتزال في المفسدة والمصلحة ، وهذا القول هو ذمّ لهم وتعجيز ، وإلحاق بالنساء والصبيان والزني الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت ، وهم القاعدون والخلفون والخوالف ، ويبينه قوله تعالى : { رَضُّوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ } والقعود هنا عبارة عن التخلف والتراخي كما قال : % (دع المكارم لا ترحل لبغيتها % . واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي . %)

{ لَوْ خَرَجُوا فَيَكُومُوا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَرًا } ولا وضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفَيَكُومُوا سَمَّاءُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبي عسكره أسفل منها ، ولم يكن بأقل العسكرين ، فلما سار تخلف عنه عبد الله فيمن تخلف فنزلت بعري الله ورسوله إلى قوله : وهم كارهون . وفيكم أي : في جيشكم أو في جملتكم . وقيل : في بمعنى مع . قال ابن عباس : الخبال الفساد ومراعاة إخماد الكلمة . وقال الضحاك : المكر والغدر . وقال ابن عيسى : الاضطراب . وقال الكلبي : الشر ، وقاله ابن قتيبة . وقيل : إيقاع الاختلاف والأراجيف ، وتقدير شرح الخبال في آل عمران . وهذا الاستثناء متصل وهو مفرغ ، إذ المفعول الثاني لزاد لم يذكر ، وقد كان في هذه الغزوة

منافقون كثير ، ولهم لا شك خبال ، فلو خرج هؤلاء لتألبوا فزاد الخبال . وقال الزمخشري : المستثنى منه غير مذكور ، فالاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء ، فكان هو استثناء متصلاً لأنَّ بعض أعم العام ، كأنه قيل : ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً . وقيل : هو استثناء منقطع ، وهذا قول من قال : إنه لم يكن في عسكر الرسول خبال . فالمعنى : ما زادوكم قوة ولا شدة لكن خبالاً . وقرأ ابن أبي عبله : ما زادوكم بغير واو ، ويعني : ما زادكم خروجهم إلا خبالاً . والإيضاح الإسراع قال : % (أرانا موضعين لأمر غيب % . ونسحر بالطعام وبالشراب . %)